رحيل آخر الفرسان

رحل آخر فرسان الأدب العربي والفكر الإسلامي المعاصر أنور الجندي «١٩١٧- ٢٠٠٢م» الذي طالما كتب منافحاً عن الفكر الإسلامي والأدب الإسلامي وتراث الأمة .. أمة الإسلام العظيم .

فقد بدأ حياته صحفياً في مصر منذ عام ١٩٢٣م ، ونال بعض الشهادات في الصحافة والمحاسبة والتجارة ، ودخل عالم الكتابة الأدبية والفكرية منذ ذلك التاريخ وإلى آخر يوم من حياته - رحمه الله -

تتلمذت على صلاة الفجر والإيمان العميق وحب الناس والحرص على مساعدتهم

أنور الجندي

اهتماماته

أحب أعلام الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وكتب عنهم بغزارة ، سواء في أنهار الصحف والمجلات المنتشرة في العالم العربي والإسلامي ، أو في المؤلفات والكتب التي ألفها وكتبها والتي دبجتها براعته الذهنية ويراعه القلمي الغزير السيّال !!

ويمكن تقسيم إنتاجه الفكري والثقافي إلى مايلي :

١- الأدب العربي ولغته القرآنية .

٢- الذب عن الفكر الإسلامي وحماته .

٣- محاربة التغريب ومواجهة الاستشراق المنحرف .

٤- أعلام الأدب والفكر تاريخاً ورجالاً .

٥- المجتمع المسلم ومشكلاته والعوائق الحائلة دون تقدمه وبناء الفرد والأسرة المسلمة .

٦- التاريخ الإسلامي وإظهار روح الحضارة والثقافة العربية الإسلامية.

٧- المشاركة الفكرية في البيان السياسي والأيديولوجي للأمة والدفاع عن كيانها وصد التيارات المهاجمة والمعادية للإسلام .**تحت راية القرآن**

بقلم: فاروق صالح بأسلامة
السعودية

والمتمعن في هذا التقسيم البياني لإنتاج الجندي الفكري والثقافي يجد متسعاً من الغزارة الأدبية والإبحار الذهني المتواصل في بحر التأليف والكتابة والتعبير المستمر عن حياة الأمة آمالاً وتطلعات ودروساً وتأملات ، وشحذا لهمم الشباب المسلم كي يلحق بركب الحياة الفاضلة ، ويخلع عن هامته ربقة التقليد الأعمى لسواهم من ذوي الانحراف الفكري والتصور الخاطىء للحياة المعاصرة والسلوك الضال ، وإعادة قيم الحضارة وروحها في الإسلام إلى تلك الحياة ، وجعلها منهجاً قويماً وأسلوب تعامل في دروبها وسبلها نحو النهضة المرادة التي ينبغي لشباب هذه الأمة السلوك إليها في العالم الجديد والعصر الحديث .

وعالم الأدب طرق بابه أنورالجندي بكل شفافية وإقدام جسور إذ إنه هوي تراثه .. تراث الأدب العربي نثراً وشعراً وفكراً ومضامين موضوعات ، فكتب عن ذلك وهو

مأخوذ ببلاغة العرب ، ومجذوب لفصاحتهم ، وحفظ الكثير من آثارها الوارفة الظلال ، وذلك تحت راية القرآن الكريم وبلاغة النبي ﷺ .

علال الفاسي

عاشق النوابغ

كتب عن القدماء في « نوابغ الفكر الإسلامي » ، وكتب عن المعاصرين في كتابه « مفكرون وأدباء من خلال آثارهم» و« أضواء على حياة الأدباء المعاصرين » و « أحمد زكي باشا » و« عبدالعزيز جاويش » في سلسلة « أعلام العرب » المشهورة .

و « المراغي » في سلسلة اقرأ التي تصدرها دار المعارف في مصر ، و« حسن العطار » في سلسلة نوابغ الفكر العربي بمصر أيضاً. وقد ترجم أنور الجندي لأكثر من ألف علم على مر التاريخ الإسلامي العربي الطويل الواسع ، علماء وأدباء ومفكرين وباحثين ودارسين ومكتشفين كابن خلدون وابن الهيثم والبيروني وابن سينا ومالك وأبي حنيفة والشافعي وابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والأشعري والغزالي ، ومنهم أيضاً أبو الأسود الدؤلي وابن حزم والخليل بن أحمد والجاحظ وابن منظور المصري والأصفهاني وأبي حيان التوحيدي وعبدالرحمن الداخل ويوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد وعبدالله بن المقفع وعبد الحميد الكاتب وأبي العلاء المعري والمتنبي وأبي فراس من القدماء .

ومن المعاصرين إبراهيم اليازجي والبارودي وشوقي وحافظ والرافعي والعقاد ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني والمازني وعلي أدهم وخير الدين الزركلي وعلي الجندي وأبي الفضل إبراهيم وأحمد الشرباصي وزكي علي وأحمد عطية الله وأحمد الحوفي وأحمد شلبي وأحمد غلوش وبدوي طبانة وأحمد حسين ومحب الدين الخطيب ومحمد عبد الغني حسن وإبراهيم الأبياري ومحمد صبيح ناجي ومحمد صبري ومحمد محمد حسين وعبد الله كنون وهلال ناجي ومصطفى الشهابي وخيري حماد ويوسف عز الدين ..إلخ .

وأنت تحس إذا كتب عن القدماء ، بروحه صافية من كثرة ما قرأ واستقرأ ! ،اسمعه يقول : قال عبد الله ابن المبارك لسفيان الثوري :

ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة : ما سمعته يغتاب عدواً ! قال -أي سفيان الثوري : هو أعقل من أن يسلط على حسناته مايُذهبها !!

أو انظر ما رواه عن شريك القاضي عن أبي حنيفة أيضاً :

« كان أبو حنيفة طويل الصمت ، كثير التفكير ، دقيق النظر في الفقه ، لطيف الاستخراج في العلم والبحث ، إن كان الطالب -أي تلميذه - فقيراً أغناه فإذا علّمه قال له : «وصلت إلى الغنى الأكبر»!!

ثم يأتي بمقولة لرجل اسمه جعفر بن عبدالرحمن وقد شارك أبا حنيفة في التجارة ثلاثين عاماً !

« كان إذا دخلت عليه شبهة من شيء أخرجها من قلبه ولو بجميع ماله »

ثم يقول - رحمه الله - في سياق حديثه عن أبي حنيفة من كتابه نوابغ الفكر الإسلامي :

أما أمره في نفسه فهو عجب من العجب ، « ختم القرآن سبعة آلاف مرة ، وكان ربما ختم القرآن في رمضان ستين ختمة »!!

ويستطرد في الحديث عن هذا الفقيه العظيم : « كان إذا أراد أن يصلي من الليل تزيَّن حتى يسرح لحيته ، ويتعطر، ويلبس ثوبه الغالي الذي تبلغ قيمته كذا وكذا ، ويقوم إلى الصلاة ، ثم يقول : التزين لله عز وجل أولى ..»

هذه السيرة لأنور الجندي

عاش ينصف المظلومين، ويفند دعاوى المبطلين،
ويتصدى لكيد الكائدين لهذا الدين وثقافته وأدبه وتاريخه

عن الفقيه العظيم بسياقه لها تعطيه زخماً من حيوية الروح والنفس والتفكير حتى ليقول : « ماذا كان مفهومه للعلم وأسلوبه في الفتيا؟ لقد كان يرى أن العمل تبعٌ للعلم كما أن الأعضاء تبعٌ للبصر ! وإن العلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكبير !! لأن مفهوم العلم عنده أنه خالص لوجه الله » (١)

ومثل ذاك العلم الرباني ما ذكره – رحمه الله – عن محب الدين الخطيب العالم الديني المعاصر صاحب مجلة الفتح الذائعة الصيت في القرن الرابع عشر الهجري المنصرم :

« حاول محب الدين الخطيب أن يتصور هدف صحيفة الفتح فكتب في العدد الأول من السنة التاسعة » ١٣٥٣هـ »يقول :

« إن الفتح أُنشئت لما شاة الحركة الفكرية الإسلامية ، وتسجيل أطوارها ، ولسد الحاجة إلى حادٍ يترنم بحقائق الإسلام ، مستهدفاً تثقيف النشء الإسلامي ،وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر فيها أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم ، وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلى هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته» (٢)

ولقد كان رحمه الله مجلاً للعلم والعلماء بمثل هذا التحليل العلمي الأدبي من خلال آثاره الكثيرة المبدعة التي نصبها رايةً وعلماً شامخاً على ساحة فكر علماء الأمة.. أمتنا المجيدة في القديم والحديث ، ودعاة دينها الحنيف الخالد، واقرأ له في مثل السياق السابق وهو يتحدث في آخر كتاب ألفّهُ – رحمه الله – عن حسن البنا الداعية الإمام المجدد والشهيد :

« آن الأوان أن يوضع حسن البنا في مكانه الحق في سلك المصلحين والمجددين والعاملين ، بعد أن حجبته الأحداث طويلاً عن اقتعاد مكانه الحق ، حتى في كتب عارفي فضله ، فإن التقدير الحقيقي لتاريخ حركة اليقظة الإسلامية إنما يجعل مكانه في الذروة منها ، ويجعله في هذه المرحلة الحديثة إماماً رائداً أحدث من الأثر ما لا يستطيع أن ينكره الذين جاؤوا من بعده ، والذين ساروا على الطريق الذي رسمته حركة اليقظة المذكورة منذ ظهودها متصلةً بالدعوة الإسلامية الأولى ، ومهتدية بالمنابع الأساسية ،ومجددة الطريق الصحيح ، ومحررة الفكر الإسلامي من مفاهيم كثيرة ليست في الحقيقة هي مفهومه الأصيل »(٣)

الإمام محمد عبده

قدوات للشباب

وهذه نماذج على علم فقيه من قدامى العلماء والدعاة ، وعلمان آخران من دعاة الفكر الإسلامي المحدثين ، جميلٌ بكل شاب مسلم – اليوم – أن يتأمل في كلام أستاذنا أنور الجندي عنهما في سياق أجمل ، وأسلوب رائع أخاذ ، وذكر طيب عظيم مبارك ، لعل ما فيه من العلم الرباني والفهم الواعي أن ينفع هؤلاء الشباب في عصر العلم والاكتشاف والفكر السليم المنبعث من صميم الوعي الإسلامي العظيم في سير قادته وروّاده وعظمائه من الراحلين والمعاصرين .

ولقد اشتهر المفكر المسلم أنور الجندي بمحاربة التغريب ومواجهة الاستعمار والذب عن أعلام الفكر الإسلامي ، وإنه ليرى – باختصار شديد – أننا إذا راجعنا كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وجدناه مأخوذاً بكامله من رسالة مرجليوث الذي يرى أن رسول الإسلام محمداً ﷺ لم يخلف حكومة ولا دولة . وأن الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله لم يكونوا حكاماً أو رجال سياسة وحكم ، وإن الرسول ﷺ ماهو إلا مبشر بدين روحاني !!

جمال الدين الأفغاني

ويرى الجندي أننا إذا نظرنا في كتاب (الشعر الجاهلي) لطه حسين وجدناه مردداً لنظرية قدمها مرجليوث أيضاً في كتابه المعروف (أصول الشعر العربي) عن انتحال الشعر الذي يرمي به القرآن نفسه ، وأنه يدعي وجود الأنبياء ، فهو ليس كتاب تاريخ. أما آراء سلامة موسى فقد كانت منقولةً نقلاً مباشراً من كتابات : داروين وفرويد وماركس ودوركايم . (٤)

وفي مقابل هؤلاء أذناب الاستعمار والتغريب ، فإن ثمّة رجالاً من أمثال:

(جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومصطفى صادق الرافعي ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي باشا ، وطاهر الجزائري وأحمد تيمور ، وإبراهيم الويلحي ، وعبدالرحمن الكواكبي ، وعلال الفاسي ، وعبدالعزيز جاويش ، والبكري و المنفلوطي وأحمد حسن الزيات وعبدالعزيز الثعالبي وعبدالرحمن عزام وعبدالوهاب عزام وعبدالحميد بن باديس وحسن البنا وحسن حسني عبدالوهاب ومحمد فريد وجدي ومصطفى الغلاييني وطنطاوي جوهري وعبدالوهاب خلاف ، هؤلاء في الحقيقة صنعوا نهضة مصر والشرق والإسلام).(٥)

أما في موسوعته (مقدمات العلوم والمناهج) ، وهي محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ، المجلد الثالث الخاص بعالم الإسلام المعاصر الذي يتناول بالبحث تاريخ العالم الإسلامي المعاصر وأقطاره وقضاياه والتحديات الموجهة إليه ، يقول الجندي – رحمه الله – :

« تمثل أفغانستان طوابع الإسلام على نحو يَكاد يكون أشد عمقاً من الهند وإيران وتركيا جميعاً ، ويتمثل في أمرين خطيرين: أولاً : مقاومة الاستعمار الغربي مقاومة حاسمة جبارة اندحرت فيها بريطانيا في ثلاث معارك كبرى امتدت على مدى ثمانين عاماً .

ثانياً : دحض الخطة التي حمل لواءها (أمان الله) في فرض الحضارة الغربية في موازاة حركة (مصطفى كمال) في تركي، و(رضا خان) في إيران . وقد أكد الباحثون والمؤرخون أن أفغانستان حين تلقت الإسلام آمنت به وتقمصته ووجدت فيه نفسها حيث عجزت المجوسية والبوذية والهندوكية أن تعطيها هذا الإحساس العميق بالله والتوحيد» (٦) .

أرأيت – أخي القارىء – هذه الأفكار لأنور الجندي التي يصوغها في معترك الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية لأمة الإسلام ؟ إنها من جهوده الأدبية والدينية . وهي تدل على روحه المؤمنة وقلبه ذي الشعور النبيل تجاه قضايا الإسلام والمسلمين ، والإيمانّ والمؤمنين ، الأمر الذي نصب له هذا المفكر العظيم جهاده في حياته الإيمانية والأدبية في سبيل الله .

ولقد قصر معاصروه في إسداء المعروف إليه إلا القليل !! فكان يستحق التقدير والتكريم لا مقابل كتبه أو مؤلفاته ، وإنما يكون تكريمه وتقديره مقابل حياة الإيمان والفكر والجهاد والأدب ! ولكن رحل – رحمه الله – مأسوفاً عليه والقلوب والأفئدة شواهد على أنه لم يكرم ولو يسيراً إزاء جهاده الميمون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الهوامش :.....

١) نوابغ الفكر الإسلامي ، ص١٠٠

٢) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم ، دار الرشاد ، بيروت ص١٩٥ .

٣) حسن البنا الداعية الإمام المجدد الشهيد ، دار القلم بدمشق ، ص٥٤٥ .

٤) جيل العمالقة في ضوء الإسلام ،دار الاعتصام بالقاهرة ، ص٦ .

٥) المصدر السابق ص٧و٨ .

٦) أفغانستان ومقاومة الاستبداد والاستعمار ، دار الأنصار بالقاهرة ط ١ ، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م ، ص٧٤ .

ذروة الشرف

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف
وصاحب العلم محفوظ من التلف
ياصاحب العلم مهلاً لا تدنسه
بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له
والجهل يهدم بيت العز والشرف